Scholar: Aboobacker Mangattuchali

Supervisor Dr. Prof. Mohammed Ayub Nadwi

Dept.: Dept of Arabic

Title: Thatheer al-Buseeri Fi al Madayeh al-Nabawiyya

اهتم الشعراء والنقاد وأهل العلم بالمدائح النبوية باعتبارها فناً من فنون الشعر العربي، وقد ازداد هذا الاهتمام في بعض العصور والمناطق، ولكن يمكن القول بشكل عام بأن المدائح النبوية لا زالت فنا هاما من فنون الشعر العربي، اهتم به العامة والخاصة باعتباره أحد الوسائل الرائعة والجميلة للتعبير عن حبهم للرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته وتعاليمه واسوته.

أقبل شعراء المدائح على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من وقت ظهور الإسلام في الجزيرة العربية بمختلف الاشعار في أوقات السلم والحرب. وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شعراء أخذوا بعاتقهم مهمة مدحه والدفاع عنه، منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير وكعب بن مالك والعباس بن مرداس وغيرهم. وقد اشتهر في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لدى الشعراء والأدباء وعامة الناس ثلاث قصائد، اعتنوا بكل منها بالدرس والشرح والتحليل والعرض والنقد. الأولى هي قصيدة كعب بن زهير المشهورة ببانت سعاد، التي قالها عند إسلامه، واعتذر بها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وألقاها بين يديه في مسجده وسط صحابته، والقصيدة الثانية ألفت في القرون الوسطى وهي "البردة" لمحمد بن سعيد البوصيري، والقصيدة الثالثة ألفت في القرون الأخيرة، وهي "نهج البردة" لأمير الشعراء أحمد شوقي. ويعتبر شعراء المدائح النبوية بردة البوصيري أشهر قصيدة من بين هذه القصائد الثلاثة.

نظم محمد بن سعيد البوصيري عدة قصائد في المدائح النبوية، من أشهرها الميمية والهمزية وميميته الثانية. وقد أجمع معظم الباحثين على أن ميمية البوصيري أفضل قصيدة في المديح النبوي من الناحية الفنية والأدبية إذا استثنينا لامية كعب بن مالك (البردة الأم)، واعتبرها البعض بأنها أشهر قصيدة في الشعر العربي بين العامة والخاصة رغم أنها لم تكن الأقدم ولا الأحدث، ولا الأطول ولا الأقصر، ولم يكن هناك ما يميزها عن سواها سوى روعة معانيها وكلماتها. وقد نالت "البردة" قبولية عامة لدى معظم الأدباء والنقاد وعامة الناس، وقام كثير من العلماء بشرحها وتدريسها وتحليلها، حينما اهتم كثير من الأدباء والشعراء بنقدها وعرضها. ولا شك في أن موهبة البوصيري وقدرته الفنية قد جعلا قصيدة "البردة" قلادة نادرة تلقاها الأمة على اختلاف الأزمنة والأماكن واللغات.

أثّرت ميمية البوصيري في المدائح النبوية تأثيراً واضحاً وعميقاً، حيث نقل شعراء المدائح من بعده مدائح البوصيري مضموناً وقالباً، ولم يستطع شعراء المدائح من بعده أن يتنحوا عن أسلوبه وكلماته ومعانيه حتى في العصر الحديث.

وقد اتضح لنا من هذا البحث أن ميمية البوصيري تشتمل على ثلاثة أجزاء رئيسية نقلها شعراء المدائح من بعده بشكل أو آخر، الجزء الأول هو العبر والمواعظ التي عرضها البوصيري بأسلوب رائع، والجزء الثاني مديح النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته، وهذا الجزء هو غرض القصيدة، حيث ذكر الشاعر فيه سيرة الرسول من مولده إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، مع معجزاته وخصائصه، أما الجزء الثالث والأخير فهو إقرار الشاعر بذنوبه واستغفاره لربه عز وجل.

أثبت بحثنا أن قصيدة ‘‘البردة’’ لا تزال على مدى العصور الماضية الى العصر الحديث مصدر إلهام لشعراء المدائح النبوية ومدرسة لهم بعد البوصيري، فعلى شهرة هذه القصيدة في الآفاق، وروحها العذبة، وعاطفتها الجميلة الصادقة، وروعة تصويرها ودقة الفاظها، وحسن صياغتها وجودة سبكها، وبراعة نظمها الشعري، قد شكلت للشعراء علامة بيضاء يهتدون بها، ويسلكون نهجها، وينظمون على طريقتها. وان أبرز معارضاتها قصيدة ‘‘نهج البردة’’ لأحمد شوقي، وقد نهج رائد النهضة الجديدة في الشعر العربي الحديث محمود سامي البارودي منهج البوصيري في قصيدته الطويلة بالبحر والقافية وبعض المعاني والألفاظ أيضا، حيث بدأ القصيدة بذكر "حي بذي سلم" كما فعل البوصيري في مطلع البردة. وإن ظهور العديد من القصائد في فن المديح النبوي بعد "البردة" على نهجه وأسلوبه ومعانيه والتي أمتعت عقل ووجدان الملايين من محبي الرسول صلى الله عليه وسلم، يعتبر دليلاً واضحاً على ريادة البوصيري في فن المدائح النبوية.

أوضحنا من خلال هذه الدراسة تأثير البوصيري في جميع جوانب المدائح النبوية شكلا ومعنى، من البحر والقافية والموضوع والأسلوب والكلمات، وحتى في ذكر "حي بذي سلم" وغيره. ومن جانب آخر حاول كثير من الشعراء تقليد البوصيري في لوم النفس وعتابها على عاداتها وتركها للطاعات وانهماكها في المعاصي ونصح النفس لاتباع الرسول وترك الشهوات والمعاصي. وقد عالجوا من خلال مدائحهم أهم المواضيع التي تعرض لها البوصيري في مدائحه النبوية، من الغزل والوصف والحكمة ومدح الرسول صلّى الله عليه وسلّم ومولده و معجزاته وشمائله ووصف أتباعه والجهاد في سبيل الله والشريعة الاسلامية والخلفاء الراشدين والمقارنة بين الحضارات والمناجاة. وهذا التأثير الواضح يثبت أن البوصيري هو رائد فن المدائح، ويحاول الشعراء من بعده تقليده في معانيه واساليبه حتى في العصر الحديث، مما يؤكد على ريادة البوصيري وتأثيره في هذا الفن.